

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[107] لَكَادِ يُؤْنَسُ (1). والقرآن الكريم يفضح المنافقين لدى الكافرين أيضاً ،
ويبيّن كذبهم ونكولهم إذ يقول: (الَّذِينَ تَرَى إِلَيْنَا الْكَافِرِينَ زَافَقُوا يَفْقَهُوا يَقُولُونَ
لَا خُوفَ مِنَّا لَهُمُ الْجَنَّةُ كَفَرُوا مِنَّا أَهْلَ الْكِتَابِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْهَا
لَا يَدْخُرُ عَنْهُمْ مَغَكُّهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ فَجِيئُهُمْ أَحْزَاءُ بَدَاءٍ ، وَإِنَّ قُوتِلَهُمْ
لَلَّذِينَ صُرُّوا عَنْهَا وَيَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَنْصُرُهُمْ مِنَ الَّذِينَ ظَنَرُوا لَهُمْ لَاجِئًا
يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَإِذْنُ الَّذِينَ ظَنَرُوا لَهُمْ لَاجِئًا وَلَا يَنْصُرُهُمْ
لَا يُولَوْنَ إِلَّا لِدُورٍ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَكْفُرُهُمْ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا مِنَ الْكُفْرِ
الْأُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةُ أَنْ يَأْتِيَ الْبُيُوتَ يَخْرُجُونَ فِي الْيَوْمِ الْبَاقِ) (2). جدير بالذكر أن القرآن استعمل
عبارة (إِسْتَوَوْا قَدَرًا نَارًا) أي إنهم استفادوا من النار من "النار" ذات الدخان والرماد
والحريق، بينما يستنير المؤمنون بنور الإيمان الخالص وبضوئه الساطع. باطن المنافقين
ينطوي على النار، وإن تظاهروا بنور الإيمان، وإذا كان ثمة نور فهو ضعيف في قوته وقصير
في مدته. هذا النور الضعيف المؤقت، إمّا أن يكون إشارة إلى الضمير والفطرة التوحيدية،
أو إشارة إلى الإيمان الأولي لهؤلاء المنافقين حيث أُسُدت عليه ستائر مظلمة على أثر
التقليد الأعمى والتعصب المقيت واللجاج والعداء، فتحوّلت ساحة حياتهم لا إلى ظلمة، بل إلى
"ظلمات" في التعبير القرآني. وهؤلاء سيفقدون في النهاية قدرة الرؤية الصحيحة، والإستماع
الصحيح، والنطق الصحيح، وهذه نتيجة طبيعية - كما ذكرنا سابقاً - للإستمرار على الإنحراف
والإصرار على الغي، حيث يؤدي إلى إضعاف آليات الإدراك لدى الإنسان فيرى الحقائق مقلوبة،
فالخير في نظره شرّ، والملك شيطان، وهكذا. على أي حال هذا التشبيه يوضّح واحدة من
حقائق النفاق، وهي إن عمر النفاق والتذبذب لا يدوم طويلاً، قد يستطيع المنافقون لمدة
قصيرة أن يتمتعوا _____ 1 - المنافقون، 1 و 2. 2 -
الحشر، 11 و 12.